

«غطاء دروبادي» سيرة هنود عبروا البحر الأسود بلا رجعة

الفرنسية أناندا ديفي تكتب التاريخ عبر قصة أم وأب وابن مريض



طفل يموت وحياة أخرى تولد (لوحة للفنان عمران يونس)

المجلوبين من الهند، وأصابتهم كلهم مشكلات صحية ونفسية بعد تعرضهم للإسهال وسوء التغذية، لكنهم بدأوا من القوة، في نهاية الرحلة، بحيث اشتروا العمل في الملكية الزراعية الواحدة، ورفض مالكو المؤسسات الخاصة طلبهم، لكنهم خافوا من إقدام من وصفوا بإخوة السفينة على العصيان فيما لو ظلوا معاً، وكان جد الرواية قائلهم وسندهم، يثير حميتهم ويحصل لهم مطالبهم.

توقن الرواية أن ابنها وين عاش بداخلها قبل أن يولد، وسيبقى دوماً في قلبها، سيبقى بالنسبة إليها المعجزة التي قد تحصل أو لا تحصل، إلا أنه ليس بمقدورها استشارة المعجزة، ولا إرغام القوى الخفية على التدخل، وتكون مأساة الأم في رؤية جسد ابنها يحرق، وعليها تقبل الأمر باعتباره طقساً متوارثاً، لكنها تثير أسئلة مشككة بجدي الفعل ومغزاه المضمر.

يشير إلى أن أناندا ديفي نشرت عملها الأدبي الأول وهي في التاسعة عشرة من عمرها، ثم نشرت عدة أعمال أخرى بعدها منها "وزن الكائنات" 1987، "شارع مخزن البارود" 1988، "غطاء دروبادي" 1993، "نهاية الأحجار والأعمار" 1993، "أنا، المنوعة" 2000، "حياة جوزفين المجنون" 2003، "تأغو هندي" 2007، و"الرجال الذين يجادونني" 2011، بالإضافة إلى عدة أعمال أخرى.

وأن تجعل منه صحته الضعيفة كائناً على حدة، وأن يكون منحنيًا فوق أسرار لا يفقه منها شيئاً وهو شديد التعلق بها.

طقوس وشكوك

تعود الرواية إلى الزمن الماضي، لتنتقل سيرة الأجداد الذين قدموا من الهند في مطلع القرن العشرين، فوق إحدى السفن الأخيرة التي جلبت العمال الذي وصفوا حينها بالملتزمين إلى الجزيرة، وكانت ظروف السفر رهيبية، وقد كانت أدهى القناعة بأنهم لن يستطيعوا أبداً العودة إلى الوراء، ولا استعادة المسار بالعكس.. وكيف أنهم اجتازوا المياه السوداء في المحيط، وكانوا يدركون أنهم باتوا في حكم الموتى من قبل الذين ظلوا في الهند من طائفتهم، وأنه جرى إحياء طقوس الموتى بأسمائهم، وأن ما بقي لهم لإنقاذهم هو الصلاة وحدها.

تستذكر كيف قضى في الرحلة الشاقة أكثر من عشرة من العمال

قلتها البالغ الذي تهددهما فيه مشاعر الشك، وأن ابنها يشعر بوجودها وهو في غيبوبته.

تلتزم نفسها بضرورة التركيز، وأن عليها تجميع طاقتها الحية كلها، خوفها كله، اضطرابها الساكن في حواسها، وتسعى لتحويله إلى سيل من القوة فوق الجسر الواقع بينهما، وتضخ قوة في جسد الطفل المتهالك، عسى أن تبعث فيه النشاط والحيوة من جديد.

تنتكب وهي تصف بان المهول كان مصير وين الغريب، وأن المهول كان في رؤيته مصاباً بالدهشة إذ يتعرض لنزلات صردية متتابعة ومفاجئة، وكيف تقاربت لفترة مع ديف بسبب همهما المشترك، وتبادل الأدوار في هدهة السرير، وطماننة الطفل وتهنئته، وكان الخوف يتزايد من حولهما على وضعه وحياته.

تستعيد الرواية الأم ظروف ولادة ابنها، وكيف أن هشاشة الطفل بقيت متمكنة منه، كما لو أنه متراجع دوماً بين عالمين، بين حديقين، يبقى بين أيديهما الخائفة كائناً صغيراً أتى من سحر الأيام، ويمكن أن يرسل على عجل، وقد نهشه الليل. وتقول إن ما يتهددهم كلهم هو العيش بقناعة مفادها أن أتفه الأسباب سيسبب له مرضاً معدياً،

ليس مطالباً من الروائيين المعاصرين أن يكتبوا عن أحداث كبرى وعن الملاحم البشرية في أعمال ضخمة موسومة بالقوة والحكمة والتاريخ المؤثر وغيرها مما قد يعتبره القراء أثراً. الرواية المعاصرة تخلت عن ذلك الزخم لصالح حكايا هامشية وبسيطة، قد لا يكون الحدث الذي يحرك الرواية ذا أهمية، لكن المهم هو الأفكار والتفاصيل التي يكشف عنها. وهو ما نراه جلياً في رواية "غطاء دروبادي" التي تبدأ من حدث مرض طفل وتصل إلى أقاصي الأسئلة الوجودية والملاحم البشرية المنسية.

هيثم حسين
كاتب سوري

تقدم الفرنسية أناندا ديفي في روايتها "غطاء دروبادي" صوراً للهوية التي تنشا وتتلور بناء على تداخل مؤثرات تاريخية وأخرى معاصرة، ولا سيما أن المكان الجديد يفرض حضوره وتأثيره، من دون أن يلغي الإرث التاريخي المتراكم، حيث تكون الهوية صيغة للتصالح مع المكان وأهله، ومع التاريخ ومحنه، والمستقبل وتحدياته.

تصف الروائية محنة مجموعة من الهنود الذين يجدون أنفسهم في مواجهة وقائع قاسية، ويكون المرض صادماً وكاشفاً لعل وتحديات أخرى، حيث تكون الدورة الطبيعية للحياة والموت جزءاً من تركيبة مأساوية تبدأ بفجعة وتمر بمرحلتين صراع ومقاومة وصولاً إلى الانصياع للجبروت الذي يفرض النهايات بشكل قذري حتمي لا يقبل النقاش.

معتقدات ومؤثرات

تروي ديفي حكاية عائلة مورييسية تعيش في جزيرة موريس، يفجج الأب ديف وزوجته أنجالي بإصابة طفلها وين بمرض التهاب السحايا، ويكون درب الاستشفاء رحلة البحث عن الدواء في معمعة الحاضر، وتكون العودة المرافقة إلى الماضي لاستلها التجارب والحكايات التي تعبر عن آثار موهلة في النفوس، وتأثيرات لا يمكنه والأفكار التي تسكنها وتنقلها عبر تاريخها.

تحدث ديفي في روايتها الصادرة عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون في الكويت بترجمة الشاعر اللبناني شربل داغر عن جماعة موسومة بإخوة السفينة، وهي عبارة عن مجموعة من الهنود الذين جلبتهم السلطات الإنجليزية حينها من الهند ليستوطنوا جزيرة موريس، وحملوا معهم إليها معتقداتهم وقيمهم وعلاقتهم وأعرافهم وعاداتهم، حيث صاغوا صورتهم للبلد الذي انتزعوا منه في المكان الذي استوطنوا فيه.

وتتطرق إلى المعتقدات التي يؤمن بها أهلها من الهنود، وبخاصة التناسخ الذي يحضر كعقيدة لديهم، وكيف أن هناك تناسخاً وجولاً للأرواح في كائنات أخرى، وتكون تلك المعتقدات محركاً لدورة مجتمع بأسره،

أنظمة الصوت اللغوية

في كتابه "اللسانيات الشعرية السيميائية" قام المفكر ورائد اللسانيات البنوية رومان ياكوبسن بمقاربة كل مضمات من مجالات الجهد البشري بطريقة ديناميكية ومتكاملة، فنشاطه مرتبط ارتباطاً عضوياً باللغة، فهو يؤمن بأن اللغة حتى وإن لم تشترك مباشرة في عملية الخلق والإبداع في بعض الحالات، إلا أنها تظل المثال القائم على مثل هذا الفعل.

ويثبت الكتاب أن طرائق اللسانيات الحديثة، التي وضعها ياكوبسن وزملاؤه الدارسون في حلقة موسكو وبراغ اللغوية اتسعت، فهي بمثابة أساس للتحليل العلمي لأية لغة أو رمز فني. وقد طور الباحث تقنيات جزيئة جديدة لتحليل أنظمة الصوت اللغوية، ما أدى إلى تأسيس فرع حديث لعلم الأصوات وإتجه طرقاً للتحقيق في الشعر والموسيقى والفنون البصرية والسيميائية، حتى أصبح شخصية محورية في تكييف التحليل البنوي مع تخصصات تتجاوز علم اللغة، بما في ذلك الفلسفة والأنثروبولوجيا والنظرية الأدبية.

ونذكر أن الكتاب صدر عن دار شهريار بترجمة رعد زامل.

رفد الكتب

هايكو وادي زا

كتاب الهايكو العربي "وادي زا" كتاب جماعي من إعداد وتنسيق وتقديم الكاتب الحسين بنصناع، ويضم سير ذاتية ونصوص هايكو لشعراء الهايكو المشاركين في الدورة الرابعة من مهرجان وادي زا الأدبي، بالإضافة إلى شعراء آخرين من مختلف البلدان العربية.

وفي تقديمه للكتاب، يؤكد بنصناع أن كتاب الهايكو العربي "وادي زا"، هو فضاء لبعض المشاهد التي تأملها شعراء وشاعرات الهايكو في الوطن العربي. جمعنا فيه عدداً كبيراً من قصائد الهايكو التي تتغنى بوادي زا، ومن خلاله بكل وديان العالم العربي. وهو الفضاء الذي مكننا من التطرق إلى مواضيع الطبيعة بشكل معقد، ومحاولة اكتشافها واستكشافها.

وأضاف أن هذا الكتاب العربي الجديد، هو نتاج مسيرة سنوات من الكفاح من أجل الهايكو، من أجل الأدب، من أجل الثقافة، من أجل تاوريرت، من أجل وادي زا، من أجل مهرجان وادي زا الأدبي والثقافي الدولي السنوي الذي تنظمه جمعية وادي زا للثقافة والإبداع والتنمية بتاوريرت بالمغرب، الجهة التي أصدرت الكتاب.

معجم أدبي جديد

يتناول "معجم المصطلحات الأدبية والبلاغية والسانية" للأكاديمي والباحث التونسي عبدالعزيز شبيل، والصادر باللغتين العربية والفرنسية، المصطلحات المستعملة في الأدب ومقارباته النقدية سواء من باب البلاغة أو العلوم اللسانية أو المنهجيات النقدية.

ويعتبر شبيل على دراية بأهم تفاصيل النص الأدبي، وهو ما يؤكد الشاعر التونسي أيمن حسن في تقديمه للكتاب إذ يقول "اعتبر قراءات شبيل الشعرية وحواراته الفكرية والنقدية صحة رفيق دربه الراحل محمد بن صالح من أجل ما جادت لنا به المؤسسات الثقافية العمومية، وهو فن لا يدر به إلا كبار الباحثين والمفكرين".

ويشرح هذا العمل، الصادر عن دار خطوط وطلال بعمان، في هذا السياق بالتحديد، فهو ينطلق من الرغبة الجامحة التي تتمثل في تلخيص الأمور وحوصلتها وتفكيكها وتبسيطها في حركة فكرية واحدة مجتمعة متماسكة تجعل من الجامعي الباحث علامة كبيرة بفضل قدرته على التشكيل النهائي لعمل كمثل هذا الذي هو الآن بين أيدينا "معجم المصطلحات الأدبية والبلاغية والسانية باللغتين العربية والفرنسية".

أنظمة الصوت اللغوية

في كتابه "اللسانيات الشعرية السيميائية" قام المفكر ورائد اللسانيات البنوية رومان ياكوبسن بمقاربة كل مضمات من مجالات الجهد البشري بطريقة ديناميكية ومتكاملة، فنشاطه مرتبط ارتباطاً عضوياً باللغة، فهو يؤمن بأن اللغة حتى وإن لم تشترك مباشرة في عملية الخلق والإبداع في بعض الحالات، إلا أنها تظل المثال القائم على مثل هذا الفعل.

ويثبت الكتاب أن طرائق اللسانيات الحديثة، التي وضعها ياكوبسن وزملاؤه الدارسون في حلقة موسكو وبراغ اللغوية اتسعت، فهي بمثابة أساس للتحليل العلمي لأية لغة أو رمز فني. وقد طور الباحث تقنيات جزيئة جديدة لتحليل أنظمة الصوت اللغوية، ما أدى إلى تأسيس فرع حديث لعلم الأصوات وإتجه طرقاً للتحقيق في الشعر والموسيقى والفنون البصرية والسيميائية، حتى أصبح شخصية محورية في تكييف التحليل البنوي مع تخصصات تتجاوز علم اللغة، بما في ذلك الفلسفة والأنثروبولوجيا والنظرية الأدبية.

ونذكر أن الكتاب صدر عن دار شهريار بترجمة رعد زامل.

رفد الكتب

